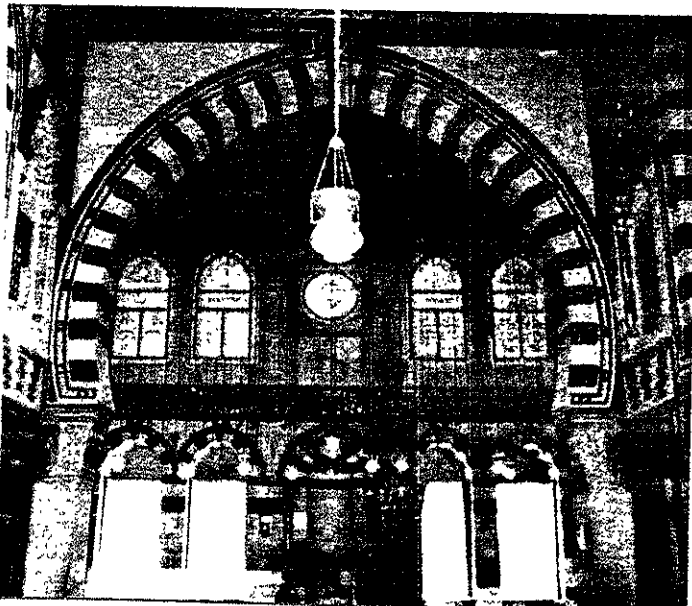
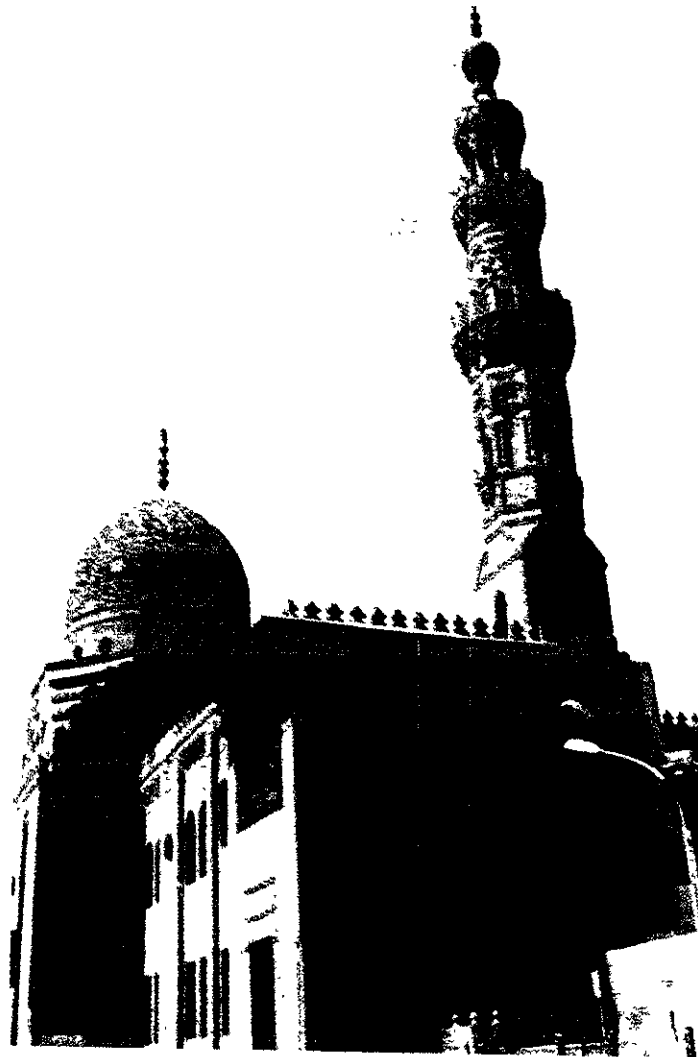


مبجد و مدرسة السلطان قايتباي

٨٧٧ - ٨٧٩ هـ / ١٤٧٣ - ١٤٧٤ م



شكل (١) إيوان القبلة بالمدرسة

أنشأ هذا البناء السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي الجركسى المملوكى ، ولقد ترك سبعين أثراً منقوشاً عليها اسمه فى مصر والشام وبلاد الصجاز منها (مسجدومدرسة) قايتباي والتي تعتبر أدق وأرشق مثال لمعمار القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى حيث أنها توضح مدى الرقى الذى وصلت إليه العمارة فى العصر المملوكى . والمشاهد لهذا المسجد لا يملك إلا الإعجاب بجمال النقش وبديع الزخارف . ولم يضم المسجد ضريحاً فحسب بل ضم سبيلاً ومدرسة ، وقد نسق المعمارى كافة هذه المنشآت المتباينة الوظائف فى نظام هندسى رائع ووزعها توزيعاً أضفى على المسجد رونقاً وجمالاً ساحراً مع الاحتفاظ بالوحدة فى التصميم ، فجات المدرسة والسبيل ومدخل المسجد على يسار الواجهة بالزخارف والأحجار المنقوشة .

وقد شيد المسجد على غرار المدارس ذات التخطيط المتعامد حيث يتكون من صحن مسقوف تتوسطه شخصيخة وتطل عليه أربعة إيوانات متقابلة من خلال عقود أربعة وقد راعى المصمم أن يكون إيوان القبلة هو أكبر الإيوانات يليه الإيوان المقابل له (الإيوان الغربى) ويفوق الإيوانين الشمالى والجنوبى حجماً وجعل عقوده من الحجر الأبيض والأحمر فى نظام زخرفى رائع ، ثم كسا الإيوانات الثلاثة

بأسقف خشبية مجلدة بالذهب والأزود . ولقد تميز إيوان القبلة بكسوة جدرانها بألواح الرخام الملون وهو يشرف على الدورقاعة بعقد مدبب يرتكز على حرمدان مقرنص (شكل ١) وينقسم إيوان القبلة إلى ثلاثة أروقة أوسطها مغطى بسقف مستوى نقش بزخارف مذهبة جميلة ويتوسط الإيوان محراب عبارة عن حنية نصف دائرية خالية من الزخرفة تتوجها طاقيه معقودة بعقد مدبب تتقدمها دخله معقودة بذات العقد ومحمولة على عمودين مضلعين لهما تيجان وعقود ناقوسية الشكل . وقد شغلت الطاقيه على هيئة الورقة النباتية الثلاثية . ويوجد على يمين المحراب منبر خشبى على جانبيه دخلتين فى كل جانب كل منهما معقودة بعقد مدبب ويعلو كل دخلة قمرية مطاولة تحصر بينها قمرية المحراب المستديرة وسقف الإيوان الخشبى عبارة عن براطيم خشبية (قطاعات) ترتكز على إزار (كورنيش) ذى حنايا ركنية ووسطية تمتد منها لأسفل على هيئة الورقة النباتية الثلاثية . ويصدر الإيوان ثلاث دخلات معقودة بعقد مدبب بنهاية كل منها شبك ذى مصبغات يغلق عليه مصراعان من الخشب وتعلوها ثلاث قمريات الجانية مطاولة والوسطى مستديرة . وتشرف السدلتان (جوانب العقد) على المساحة الوسطى من خلال كردين* خشبيين مقرنصين بينهما معبرة وتحوى كل من السدلتين الجانبيتين خزائن

المراجع موسوعة منظمة العواصم والمدن الإسلامية - كتاب القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية . * المزملة . قوصرة كبيرة عميقة فى دهليز المدرسة تحفظ بها أزيار المياه . * الحرمدان . كابولى حجر . * كردين كوابيل من الخشب فى نهاية عقب فتحات الإيوانات .

عالم البناء

على سطح الأرض بدلاً من ظهورها كما لو كانت محمولة على سطح المبنى . ويتميز البناء بصفة عامة بالفن في تشكيل الكتلة البنائية بحيث يتم إظهار كل عنصر في تشكيل عضوي متكامل مع التشكيل السطحي الناتج عن طريق عمل زخارف نباتية وهندسية ظاهرة وغائرة في الحجر مما أوضح الاتزان في الكتلة البنائية . كما يتضح إستخدام مواد البناء الملائمة للظروف المناخية والبيئة المحيطة كالحجر والرخام مما يوفر قدر من العزل الحرارى من المناخ الخارجى ويعمل على تلطيف الهواء الداخلى ، ونلاحظ استخدام المناور التي تنير الدهليز وتسمح بعمل فتحات بالغرف العلوية لإنارتها ، كما تعمل على تبريد الهواء داخل الممرات .

إن هذا البناء ينتقل بنا من الطابع الصارم لمباني العصور السالفة إلى أسلوب جديد نابض بالحياة والبهجة وكأنه عالم من الخيال تتراقص فيه الألوان الزاهية الملتفة بالسكر والرشاقة ونحن لا نملك إلا دراسة هذه الإبداعات التي تركها لنا هؤلاء الفنانين .

للزخرفة) حول العقود ، وفى جوانب الوراقاة أعلى العقود تحصر بينها نص كتابى وقد استخدم نفس الجفت البارز فى أنحاء أخرى فى المبنى للتأكيد على العناصر مما يؤكد تكامل التشكيل الفراغى للعناصر مع بعضها البعض . وعند تحليل الواجهات الخارجية نجد أن التشكيل إعتد على استخدام القوصرات (الدخالات) الرأسية التي تتوجها حطات المقرنصات والتي نظمت بها الفتحات العلوية والسفلية التي شاعت فى المباني المملوكية الجرسية . ويمكن قراءة عناصر المسقط من الواجهة وذلك بتنوع مسطح وشكل الفتحات مما يعكس الصدق فى التعبير عن الفراغ الداخلى والارتباط العضوى بين المسقط والواجهة . وفى واجهة المدفن اتسع مسطح الفتحات وبرزت عن سمت (سطح) جدار القبلة وغطت بقية صخرية مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية . وتم تأكيد موقع المدخل بالأسلوب المتبع فى العمارة المملوكية حيث وضعت المئذنة عن يمين المدخل كعلامة مميزة ، وقد برزت قاعدة المئذنة عن سمت الواجهة قليلاً لتؤكد استمرار المئذنة وارتكازها

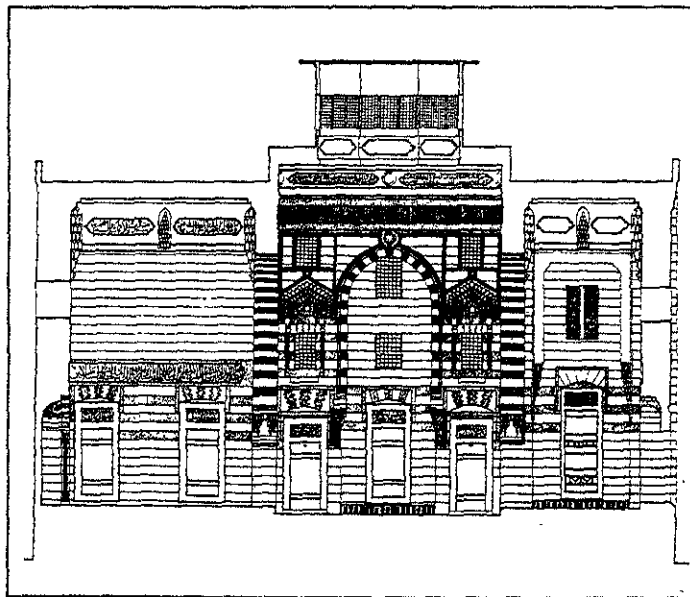
الدراسة عبر دهليز به المزملة والسلم الصاعد للدور العلوى ، كذلك نجد أنه روعى فى المسقط فصل الخدمات والمرافق عن المدرسة إذ وضعت فى منسوب منخفض عن أرضية المدرسة وذلك حرصاً على عزل المناطق الطاهرة عن موضع الوضوء حيث اختير موضعها فى الركن الجنوبي الغربى نظراً للظروف المناخية السائدة كاتجاه الرياح والشمس والتهوية ، كما يلاحظ اتباع المعمار للنسب والعلاقات الهندسية بين ضلع الربع وقطره والمستطيل الذهبى فى تصميم المساقط والقاعات والواجهات .

وبدراسة وتحليل التشكيل الداخلى نجده اعتمد على التماثل فى تنظيم الفتحات سواء للنوافذ أو الخزائن الحائطية . وقد تنوعت الارتفاعات الداخلية تبعاً لوظيفة كل عنصر مما يعكس ارتباط خط القطاع بالمسقط . وقد لوحظ فى التشكيل الفراغى الداخلى التأكيد على اتجاه المحراب والحدود المتعامد عليه ، وقد تم الربط بين الواجهات الأربعة المائلة على الصحن باستخدام الجفت للاعب والميمات المستديرة (وحدات هندسية

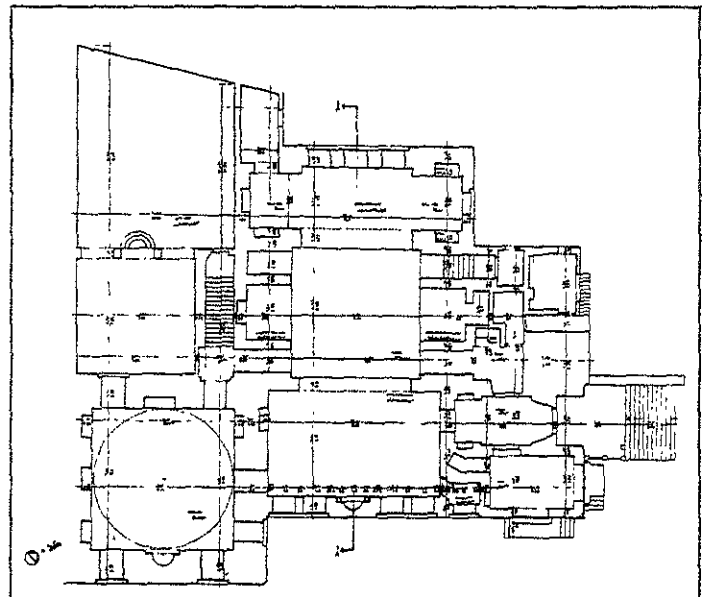
حائطية تعلوها قمريات مستطيلة تشرف على البورقاعة من خلال عقد مدبب يرتكز على كابولى مقرونص وعلى جانبى السدلتان أربعة أبواب .

ولما كان المسجد يضم ضريحاً أيضاً فإن الإتقان والإبداع فى تجميل إيوان القبلة قد ماثلهما فى ما جاء من الإبداع والإتقان فى الضريح الذى اكتست جدرانه بوزرة من الرخام الملون ، كما زينت مقرنصات الضريح المتدلية الأركان بنقوش رائعة فى أعناقها شبابيك من الجص المفرغ ملئت فراغاته بالزجاج الملون ثم أحيطت تلك الشبابيك الرائعة فناً وإبداعاً بنقوش مذهبة .

وعلى الرغم من أن النص التأسيسى يشير إلى المبنى كمدرسة إلا أن الوثيقة حددت وظيفته كخانقاه (مكان للسكنى) بالإضافة إلى كونه مسجداً جامعاً . غير أن المسقط اتبع - بصفة عامة - نمط المدارس المملوكية فى تكوين العناصر وعلاقتها ببعضها البعض من حيث المدخل المنكسر الذى يعمل على تهيئة الداخل للانتقال التدريجى من الفراغ الخارجى إلى الفراغ الداخلى بارتفاعاته المختلفة ويؤدى إلى إيوانات



قطاع أ-أ



المسقط الأفقى